الفصـــل الثانـــى

حروف المعانى ودلالات

الحذف التركيبى

– الحذف لغةً واصطلاحًا :

أولاً: الحذف لغةً :

"حذفته " حذفًا من باب ضرب قطع ، وقال ابن فارس : حذفت رأسه بالسيف قطعت منه قطعة ، وحذف فى قوله أوجزه ، وأسرع فيه ، وحذف الشيء حذفًا أيضًا أسقطه ، ومنه يقال حذف من شعره ومن ذنب الدابة إذا قصر منه " [1] ، وكذلك تقول : " حذف ذنب فرسه إذا قطع طرفه ، وفرس محذوف الذنب – وزق محذوف : مقطوع القوائم "[2] .

ثانيًا : الحذف فى الاصطلاح :

هو إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل [3] ، فهو الاكتفاء بيسيير القول ، إذا كان المخاطب عالمًا بالمراد فيه [4] ، وإنما كان الحذف مرغوباً عند العرب، يجري على ألسنتهم، لمحبهم الاستخفاف، لأن النفس تذهب فيه كل مذهب.

- أسباب وشروط الحذف :

لقد جعل اللغويون للحذف أسبابًا يلجأ إليه من أجلها ، وتتلخص هذه الأسباب: فى الاحتراز عن العبث ، والتعظيم ، والتخفيف ، ورعاية الفاصلة ، وصيانة المحذوف عن ذكره ، وكذلك صيانة اللسان عن ذكر المحذوف ، وشهرة المحذوف بحيث يكون ذكره وعدمه سواء ، [5] واشترطوا للحذف شرطًا يؤدى من خلاله ، ولا تتوافر له هذه المكانة إلا باستيفائه ، وهو أن تكون فى المذكور دلالة على المحذوف ، إذا كان المحذوف عمدة ، أما إذا كان فضلة فلا يشترط لحذفه دليل ، فإذا أشكل المعنى بذلك الحذف فهو من الحذف القبيح ، الذى ينقلب الغرض فيه إلى ضده وعكس المراد منه ، وهو ما يعرف عند علماء البلاغة بالإخلال ، وهو أن يترك من اللفظ مابه يتم

---

(1) المصباح المنير مادة (ح ذ ف) صـ 79.

(2) أساس البلاغة مادة (ح ذ ف) صـ 77 .

(3) البرهان للزركشي ، صـ 685 .

(4) البرهان فى وجوه البيان لابن وهب ، دار الكتب العلمية بيروت 1982 م ، صـ 69.

(5) الإيجاز فى القرآن الكريم رسالة ماجستير مختار عطية عبد العزيز ، قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الإسكندرية 1990 م ، صـ 33 .

المعنى[Ï] . على أنه من المفيد التعرض لأسباب الحذف بشيء من البسط .

– الحذف للتخفيف :

فهو الغرض الخفى وراء أكثر أنواع الحذف ، فمن أنواع الحذف للتخفيف ما يكون للتخلص من كثرة الحركات ، كما فعلوا فى فخذ وعضد ( ) .

– الحذف للثقل :

ومن ذلك الحذف لتوالى الأمثال ، كقولهم إضافة ياء النسبة إلى نحو: أسيد وحِمْيَر ولبيد آسيدى وحميرى ولبيدى ، فلما كثرت الياءات ، وتقاربت ، وتوالت الكسرات استثقلوا، فحذفوا [Ñ] .

- الحذف لكثرة الاستعمال :

وهذا النوع لا تختص به لغة دون لغة ، بل هو ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية ، حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة من الكلام ، أو حذف ما يمكن للسامع فهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة حالية ، أو عقلية ، أو لفظية [Ò] .

وفائدة الحذف إعطاء متعة الإيحاء ، وذلك على نحوين :–

- أولهما : إيحاء النص بتعدد الدلالات المحذوفة .
- ثانيهما : إيحاء جمالى متصل بالنفس تخيلًا وتصورًا ، ففى الأول تكون بإزاء لون من التوسع فى الدلالة ؛ لأن إيجاز الحذف يكون التوسع فى الدلالة أحد وظائفه ، وفى الثانى يؤدى الحذف وظيفة التوضيح للمعانى التى يشوبها الغموض ، فإنها تشرك المتلقى إكمال الصور التى توحيها سياقات النصوص[Ó] .

(Ï) انظر الخصائص صـ 1 /284 .

(2) ضوابط ظاهرة الحذف رسالة ماجستير محمد سعيد ، قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الإسكندرية 1992 م ، صـ 9.

(Ñ) الكتاب صـ 3 / 371 .

(Ò) ضوابط ظاهرة الحذف صـ1 .

(Ó) الإعجاز البلاغى فى القرآن الكريم عند المعتزلة عماد مرزوق ، مكتبة بسان المعرفة الإسكندرية 2005م ، صـ 143.

توطئة

إن النحاة الأوائل لم يكتفوا بتدوين ما سمعوه من العرب الفصحاء ، ولم يقتصروا على استنباط قواعد اللغة العربية منه ، وإنما حاولوا أن يفسروا الظواهر اللغوية التى توصلوا إليها بعد إستقرائهم كلام العرب ، واختلفوا فى تفسيراتهم مستصحبين حججهم فى هذا الاختلاف (Ï)، ولعل مناط الخلاف ودواعيه يكمن فى التفرقة بين اللغة بوصفها استعمالاً، وبين كونها بحثًا ، فالاستعمال اللغوى وظيفة المتكلم ، والبحث اللغوى وظيفة الباحث ، والاستعمال تطبيق لأسس معينة غير واضحة عند الدارس ، والاستعمال باعتباره تطبيقًا يتوخى معايير معينة ، ولكن البحث باعتباره تفتيشاً يستخدم الاستقراء ، ليصل منه إلى وصف الحقائق التى يصل إليها الباحث ، فمن أوضح وسائل الاستعمال المعيار ، ومن أوضح وسائل البحث الوصف فالاختلاف بين الاستعمال والبحث اختلاف من هذه النواحى جميعًا ( ) .

ولقد وقر فى نفوس النحاة أن العرب الفصحاء كانوا يدركون علل ما يقولون ، وأنهم كانوا يعللون بعض ما يقولون ، ومن ثم جعل النحاة نص العربى على العلة أو إيماءه إليها مسلكًا من مسالك العلة (Ñ)، فالعلة النحوية مأخوذة من تفرس المسموع ، وتتبع ماهية وضعه ، والتنقيب عن دفائن حكمته ، إذ العرب لم يتكلموا إلا عن وعى جاء القرآن متوجًا لأوجه ، قال سيبويه – رحمه الله :" وليس شىء مما يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهًا "فلا شك أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها (Ò)(*)، وقد قسم السيوطى فيما ينقله عن الزجاجى من كون علل النحو مستنبطة ، وهى ثلاثة أقسام :

علل تعليمية : الغرض منها التعليم ، وعلل قياسية : الغرض منها البحث عن حكمة العرب ، وهذه مهمة الباحث فى النحو ، وعلل جدلية نظرية : وهى فلسفة لغوية بعيدة عن روح اللغة وطبيعتها ، وتؤدى إلى تعقيد النحو، وهى ليست إلا رياضة ذهنية (Ó) ، والحذف أحد مظاهر التخريج فى النحو النحو ، وفى هذا المظهر عود إلى فلسفة العامل ، كالقول بحذف المبتدأ ، أو الخبر ، وخبر كان ، وخبر إن ، والمستثنى فى مثل : " جاءنى زيد ليس إلا " ، وكذلك ما حذف من الفعل وحده بعد أدوات الشرط فى مثل : " وإن أحد من المشركين استجارك " ، وما جاء محذوفًا من حروف الجر

(Ï) الحجج النحوية ، صـ11 .

( ) اللغة بين الوصفية والمعيارية صـ12 .

(Ñ)الأصول د/ تمام حسان ، صـ177 .

(Ò) الاقتراح ، صـ113.

(*) كانت العرب تتكلم سليقة، وعلى وفق لسانهم فقد النحاة للنحو.

(Ó) أصول النحو عند السيوطى ، صـ294 .

فى مثل قوله : لمن قال له : (كيف أصبحت) ؟! قال :" خير عافاك الله " ، كل هذا وغيره يعود إلى قوانين العامل مثل : كل مسند لا بد له من مسند إليه ، وبالعكس ، وأيضًا كل معمول لا بد له من عامل ، فإذا لم يكن هذا العامل موجودًا فى الكلام فلا بد من تقديره [1] ، فالمتضح من العرض السابق أن الحذف والبحث فى حكمته مرهون بالعلتين الأوليتين (التعليمية والقياسية) .

ودعوى الحذف مظهر من مظاهر التأويل ، وهى كغيرها من صور التأويل تنبع من محاولة النحاة تصحيح النصوص التى يجب قبولها ، والتى لا تفى فى الوقت نفسه بما تفرضه القواعد من أحكام ، والحذف يتم بافتراض أبعاد فى النص غير موجودة فيه ، ويصل النحاة من هذا الافتراض إلى موقف يتصورون أنه يوفق بين الشروط التى تفرضها القاعدة النحوية ، وبين النصوص التى تتجافى عن تلك الشروط ، ولا تطبقها [2] .

والناظر فى مسألة الحذف فى كتاب الله عز وجل يرى مكمن الخلاف ليس فى وجودها من عدمه ، فلا خلاف فى وجودها ، وإنما الخلاف فى التقدير الذى يتبع هذا الحذف ، فالمتتبع لكلام ابن مضاء – رحمه الله . فى الحذف يعرف أن مدارها على التقدير لا على الوجود وعدمه ، يقول: ومنه قول الله تعالى : " وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرًا ، " وقوله تعالى : " ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو " على قراءة من نصب وكذلك من رفع ، وقوله عز وجل " ناقة الله وسقياها " . والمحذوفات فى كتاب الله تعالى : لعلم المخاطبين بها كثيرة جداً ، وهى إذا أظهرت تم بها الكلام ، وحذفها أوجز وأبدع [3] .

والحذف فى مضمونه تقدير لمعدوم قام دليل على عدمه وفقدانه فى أصل افتراض التركيب ، وعلى ذلك فقد تحذف العرب الجملة ، والمفرد ، والحرف ، والحركة ، وليس شىء من ذلك إلا عن دليل عليه ، وإلا كان فيه من تكليف علم الغيب فى معرفته [4] ؛ ولذا فهناك ما يمكن أن نطلق عليه مسوغات الحذف والتى تعد بمثابة الإشارة الظاهرة على ما خفى من الكلام مع بقاء أثرها فى التركيب ، هو معلوم أن أبواب الحذف والتقدير في النحو العربي بالغة الدقة ، فما دام الحذف يعتمد على وجود دليل على المحذوف فإن إدراكه يعد مظهراً من مظاهر قرينة السياق ، ومن هذه المظاهر:

١. الافتقار ، فإذا لم يذكر ما تفتقر إليه الكلمة فلا بد من القول بحذفه .
٢. الاختصاص ، فإذا رأينا على سبيل المثال حرف المعنى يدخل على لفظة اختص بغيرها قلنا بالحذف .

---

(1) أصول النحو العربى ، د/ محمد عيد ، صـ 242

(2) أصول التفكير النحوى ، صـ281

(3) الرد على النحاة ، صـ79

(4) الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى تحقيق محمد على النجار ، القاهرة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب 2011 م ، 362/2 ، صـ 51 .

٣. الرتبة ، فإذا وجدنا مثلًا دليلًا على الجواب متقدمًا، ولم يذكر الجواب متأخرًا قيل : إن الجواب محذوف فسره ما تقدم، وذلك إن لم يكن متقدمًا.
٤. الربط ، فإذا لم يذكر الربط فى أماكن وجوب ذكره قلنا بحذف الرابط .
٥. المعنى المعجمى .
٦. المعنى التركيبى للجملة ، كأن يذكر المبتدأ ، ويحذف الخبر ، أو العكس .
٧. المعنى الدلالى[Ï].

وهذه السمات سالفة الذكر تعد مسوغات لحذف الحرف إذ إن الحرف فى الأصل ليس للتركيب أن يلفظه ، مستغنيًا عنه لفظًا أو دلالةً ، حيث إنه يعد اختصارًا ، والاختصار – كما هو معلوم لا يحذف ،يقول ابن جنى– رحمه الله– : أخبرنا أبو على – رحمه الله– قال: قال أبو بكر : حذف الحروف ليس بالقياس . قال : وذلك لأن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار ، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصرًا لها هى أيضًا ، واختصار المختصر إجحاف به ، وتفسير قوله : " إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار " هو أنك إذا قلت : (ما قام زيد) ، فقد أعنت (ما) عن (أنفى) ؛ وهى جملة فعل وفاعل ، وإذا قلت : قام القوم إلا زيداً ، فقد نابت (إلا) عن (أستثنى)، وهى فعل وفاعل ، وإذا قلت قام زيد وعمرو ؛ فقد نابت (الواو) عن (أعطف) ، وإذا قلت : ليت لى مالا ، فقد نابت (ليت) عن (أتمنى) . ..... ، فإذا كانت هذه الحروف نوائب عما هو أكثر منها ، ومن الجمل ، وغيرها ، لم يجز من بعد ذا أن تخترق عليها ، فتنتهكها ، وتجحف بها [ ] ، والأبلغ من ذلك أن بعض الحروف قد تحذف ، وقد تذكر ، على أنها فى كلا الموضعين يجب ذكر موضحها ودليلها ، إذ إنها لا تنطق مفردة بمعزل عن معمولها ، أو عاملها المتعلقة به ، فما كان على حرف ، فلا سبيل إلى التكلم به وحده ، ومما جاء على حرف مما هو اسم (التاء) فى (قمت) ، إذ أعنى المتكلم نفسه أو غيره من ذكر أو أنثى ، وكذلك (كاف) من نحو: ضربتك ، ومررت بك ، (والهاء) فى ضربته ، ومررت به [Ñ] .

ومجال الحديث عن الحذف موضع بليغ دلاليًا إذ إن مسوغات المحذوف دلاليًا تقوى لحمل المعنى أبين من الذكر للحرف المحذوف ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن [Ò] .

مسوغات الحذف لحروف المعانى

(Ï) البيان فى روائع القرآن ، صـ 23 ، 25
( ) الخصائص صـ 275/2 ، 276.
(Ñ) المقتصب ، صـ 1 / 174
(Ò) دلائل الإعجاز، صـ 106

ونكتفى فى هذا الفصل بعرض لمسوغات حذف حروف المعانى، معطين كل مسوغ شيئاً من التوضيح والتفصيل.

أولاً : الافتقار : الحرف كما هو معلوم مفتقر إلى غيره فى بيان معناه [1] ، فمعناه لا يظهر إلا من خلال غيره ، وهذا المعنى هو المشهود بين النحاة ، وممن نص عليه ابن عقيل قال : " وإن لم تدل (الكلمة) على معنى فى نفسها ، بل فى غيرها ، فهى الحرف [2] " ، فالحرف : كل كلمة لا تدل على معنى فى نفسها لكن فى غيرها [3] ، والحرف مفتقر إلى غيره فى اللفظ والمعنى ، فالحرف لا يظهر معناه إلا بانضمامه إلى لفظ آخر ، فكلمة " من " مثلًا – لا يظهر معناها إلا إذا انضمت إلى لفظ آخر ، كما لو قلت (جئت من البيت) ، فمعنى الابتداء لم يظهر إلا بانضمام " من " إلى لفظ (البيت) و (جاء) ، وكذلك المعنى ، فالحرف لا يتم معناه إلا إذا انضم لغيره ، وبعبارة أخرى أن معنى الحرف لا يفهم من لفظه إلا إذا انضم إليه معنى آخر [4] .

على أن هذا الافتقار الذى ألصق بالحرف بوصفه سمة أصيلة فى تعريفه يسطو هو الآخر على أقسام الكلمة الثلاثة ، بما فى ذلك الاسم والفعل فى بعض أقسامها ، فعلة بناء بعض الأسماء المبنية هو الافتقار المؤصل كأسماء الموصولات [5]، وإذا كان السابق ذكره هو حال الافتقار ، فالأفعال يجرى عليها ذاك الوصف ، فالفعل اللازم الذى لا يتعدى بنفسه يحتاج إلى حرف يتعدى به إلى معموله ، فيعدى بالحرف أو بغيره من حروف الجر ، وحق هذا الباب أن تتناوب فيه حروف الجر، وهمزة النقل الداخلتان فى أول الفعل وآخره ، والدليل على أن الفعل مفتقر هو الآخر فى هذه الصفة ، هو أن الفعل إذ كثر استعماله ، وعرف معناه ، جاز حذف الحرف المعدى به [6] ، وذلك نحو قولهم :" سرقه مالاً " ، على حذف حرف الهمزة وتعدية الفعل بعد الحذف ، أو على معنى السلب ، كأنه قال سلبه مالاً [7] ، ومثل ذلك فى غير الباب قولهم : " ما

---

(1) شرح الرضى على الكافية ، صـ 260

(2) شرح ابن عقيل صـ1 / 16 .

(3) الحدود للأبذى ، صـ55

(4) اللامات دراسة نحوية شاملة فى ضوء القراءات القرآنية د/ عبد الهادى الفضيلى ، دار القلم بيروت د/ت ، صـ57.

(5) شرح المكودى على الألفية صـ11

(6) تصحيح الفصيح صـ 168 ، 169

(7) مجمع الأمثال أبو الفضل الميدانى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ،بيروت د/ت ، صـ1 /339.

أعقله عنك شكًا " أى : دع الشك عنك ، فحذف هذا لكثرة استعمالهم (Ï) .

ومن أمثلة حذف الحرف مع الإفتقار إليه ، أو حذف المتعلق مع افتقار الحرف إليه ما يلى :

– على سبيل الخفة والاتساع، قال سيبويه – رحمه الله– : " ذهبت الشام ، دخلت البيت " يعنى أنه حذف حرف الجر من باب حذفه اتساعًا واستخفافًا ( ) .

– قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(Ñ)، فلفظة " نظر " تعنى : الإمهال والتأخير وعدم الاستعجال ، فيقول تعالى: " فنظرة إلى مسيرة " أى: فانتظار وإمهال (Ò) ، فالمعنى فى الآية – والله أعلم – " انظرنا" أى انظر إلينا ، إلا أنه حذف حرف الجر " إلى " ، والمعنى أن المعلم إذا نظر إلى المتعلم كان إيراده الكلام على نعت الإفهام والتعريف (Ó) ، وفى هذا الموضع دلالة على تبليغ الرسول ﷺ الرسالة أبلغ وأوفى دلالًة ، ولم يترك يترك للزنادقة مجالاً لادعاءات بإحالتهم إلى عقولهم ، وقد شهد له أعقل الخلق وأعلمهم وأفضلهم فى أعظم مجمع فى خطبته بعرفات فى حجة الوداع عندما سألهم قائلًا :" إنكم مسؤولون عنى ، فماذا أنتم قائلون : قالوا : نشهد أنك بلغت ونصحت ، فلو لم يكن قد عرف المسلمون وأتقنوا ما أرسل به ، وحصل لهم منه العلم اليقين ، لم يكن قد حصل منه البلاغ المبين ، وغاية ما عند النفاة أنه بلغهم ألفاظًا لا تفيدهم علمًا ولا يقينًا ، وأحالهم إلى عقولهم (Ô) .

وفى هذا الموضع أيضاً تفريق بين تبليغ الحجة ، وإقامة الحجة ، إذ إن إقامة الحجة يستوجب ما يقوم به العلم (Õ) ، وقد أخذ العلماء من ذلك عدة أسباب للحول بين المعين وتكفيره ، كأن يكون الرجل حديث عهد بالإسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة ، ومثل هذا لا يكفر بجحد ، ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة ، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص ، أو سمعها ولم تثبت

(Ï) الكتاب 2/ 130 .

( )الأصول فى النحو لابن السراج تحقيق د/ عبد الحسين الفتلى ، ط3 مؤسسة الرسالة بيروت 1408 هـ – 1988 م، صـ1 /171 .

(Ñ) سورة البقرة الآية 104 .

(Ò) القاموس القويم مادة " نظر " صـ2 / 272 .

(Ó) التفسير الكبير لفخر الدين محمد الرازى ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 2000 م ، صـ3 / 204.

(Ô) الصواعق المرسلة لشمس الدين الدمشقى ، تحقيق د/ على الدخيل ، ط3 ، دار العاصمة الرياضى 1418 هـ – 1998 م ، صـ2 / 733 .

(Õ) شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن إبراهيم تحقيق زهير الشاويش ، ط3 ، المكتب الاسلامى ، بيروت 1406 هـ ، صـ1 /211 .

عنده ، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها ، وإن كان مخطئًا [1] .

الحذف مع افتقار المعنى لضرورة التقدير له ، وهذا من باب حذف حرف المعنى والذى يليه[2] ، مع ضرورتهما لاستكمال المعنى الإيحائى ، فالمعنى الإيحائى قد يشير إلى ما يسمى بالمعنى المنعكس ، وهو ذاك المعنى الذى يثور فى حالات تعدد المعنى الأساسى[3] .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى لنبيه ﷺ :" وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه " [4] ، وأصل الكلام أى أى : تخشى من قول الناس ، على حذف حرف الجر ، كأنه يقول " تخشى من الناس أن يقولوا ، فيأثموا ، ويهلكوا " ، والمعنى المنعكس فى هذا الموضوع الذى أوجب التقدير "أى تخشى منه على الناس وللناس ، حتى يقع مرادى فيك وفى الناس [5] ، ولذا فرق العلماء بين نوعى الخوف ، وهما وهما : خوف العبادة ، ذاك الخوف السرى الذى يؤدى إلى طاعة باطنة ، وبين الخوف الذى يقع طبيعة وعادة ، كمن يخاف من عدو أو سبع أو أى خطر ، أما الأول ، فصرفه لغير الله عز وجل شرك، وأما الثانى، فلا ينافى الإيمان ، إلا إذا أدى إلى ترك واجب أو فعل محرم بغير إكراه ، فهو مذموم محرم[6] .

حذف الحرف مع افتقار المعنى الأساسى له ، حيث يدل اللاحق على عكس مراد السابق الدال عليه بظاهره ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : " إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين "[7] ، فالمعنى عند جميع المفسرين :_ نخوفكم بأوليائه ، قال قتادة : يعظمهم فى صدوركم ؛ ولهذا قال : " فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين " ، فكلما قوى إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان ، وكلما ضعف إيمانه قوى خوفه منهم [8] ، والمعنى السالف محمول على ما عنونه عبد القاهر – رحمه الله – بدلالة المعنى على المعنى ، حيث قال : وإذا كان كذلك

---

[1] حقيقة التوحيد ، صـ 170

[2] الحذف والإختصار ، صـ 752

هو ذاك النوع من المعنى الذى يتعلق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الإيحاء نظرًا لشفافيتها، علم الدلالة صـ15

[3] السابق نفسه .

[4] سورة الأحزاب 37

[5] تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء لأبى الحسن الأموى تحقيق محمد الداية ، ط 1 دار الفكر المعاصر لبنان 1411 هـ – 1990 م ، صـ 1/ 56 .

[6] فضل الغنى الحميد ، صـ 24 .

[7] سورة آل عمران 175.

[8] إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، صـ113

علِمَ علم الضرورة أن مصرف ذلك إلى دلالات المعانى على المعانى ، وأنهم أرادوا أن من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذى تجعله دليلًا على المعنى الثانى ووسيطًا بينك وبينه متمكنًا دلالته ، مستقلًا بوساطته ، يسافر بينك وبينه أحسن سفارة ، ويشير بك إليه أبين إشارة [Ï] ، ثم يحتاج المعنى إلى ما يسمى بالسياق اللغوى لإيضاح مرماه الدلالى ، إذ إن السياق اللغوى يعتنى بالبيئة اللغوية التى تحيط بصوت (فونيم) أو (مورفيم) أو (كلمة) أو (عبارة) أو (جملة) [ ] ، قال بن بن عباس – رضى الله عنه – : المعنى يخوفكم أوليائه أى : بأوليائه ، أو من أوليائه ، فحذف حرف الجر ووصل الفعل إلى الاسم [Ñ] ، وبإثبات حرف الجر " الباء " وردت قراءة أبي وقراءة النحعي [Ò] .

- حذف الحرف مع الافتقار له فى المعنى للترتيب ، ويبرز هذا المعنى فى المواضع المختصة بالمعلومات ، وخصوصًا حروف العطف المفيدة للترتيب والاتساق ، فالفاء تضم الشىء إلى الشىء، كما فعلت الواو ، غير أنها تجعل ذلك متسقًا بعضه فى إثر بعض[Ó] ، ومن أمثلة ذلك ذلك قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [Ô] ، فالتقدير فى الآية فى غير كتاب الله عز وجل كان الناس أمة واحدة ، فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وإنما دل على ذلك قوله تعالى : ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ ، فالمعروف أن الناس كانت أمة واحدة على التوحيد ، إذ إن آدم عليه السلام بعثه الله رسولاً إلى أولاده ، وكانوا مسلمين مطيعين لله تعالى إلا أنهم اختلفوا بعد ذلك [Õ](*)، وقد استدل العلماء من " فاء " الاتساق المحذوفة ما معناه أن الناس كلما بعدوا عن اتباع الرسل والكتب المنزلة كان أعظم فى تفرقهم واختلافهم ؛ فإنهم يكونون أضل بعقولهم بمنأى عن رسلهم [Ö] . ومثال ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [×] ، والمحذوف هنا أيضاً أيضاً "فاء" الاتساق مع الداخلة عليه ، وهو موصوف بتقدير حذف الفاء مع معطوفها الفعل ، إذا

(Ï) دلائل الإعجاز ، صـ 181 .

( )علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ، صـ 158

(Ñ) تفسير القرطبى صـ 4 / 282 .

(Ò) البحر المحيط صـ 3 / 120.

(Ó) الكتاب ، صـ4 / 217 خانج .

(Ô) سورة البقرة 213

(Õ) التفسير الكبير صـ 6/ 11

(*) والمحذوف هنا جملة كاملة هي (فاختلفوا).

(Ö) الرد على المنطقيين لابن تيمية ، دار المعرفة بيروت د/ت ، صـ 1 / 232 .

(×) سورة البقرة 54 .

التقدير : فامتثلتم ، فتاب عليكم ؛ وذلك لترتيب التوبة على الامتثال، لا قتل أنفسهم [1]، وعلى هذا حملت قراءة قتادة: ﴿فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أى: أسألوا ربكم أن يعفو عنكم [2] ، وعلى هذا بنى أهل الاعتقاد الأعمال على القصد والنية ، فلو لفظ المكلف بلسانه ما يعارض مقصد قلبه أو العكس كان الاعتبار بقصده الذى فى قلبه [3] ، ثم إن تقدير الفاء دون غيرها فى هذا الموضع لعلة إفادة سرعة الاستجابة المرجوة من التائب عند سماع الأمر بها ، فالفاء تفيد الوصول والتعقيب ، أى أن موجبه وجود الثانى بعد الأول بغير مهلة ، ولا تراخ ، يعد فى العرف مهلة وتراخيًا ، فإذا قلت : ضربت زيدًا فعمرًا ، كان المعنى أن ضرب عمر قد وقع عقيب ضرب زيد [4] ، فقتل النفس ذكر للموت الذى هو مطنة تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة [5] .

- حذف الحرف مع افتقار المعنى إليه لمسوغ عدم التكرار ، فالتكرار فى موضع ما عند إمكان الاستغناء عنه يعد هجنة [6] ، فمن أقبح التكرار وأشنعه تكرار الحروف المتقاربة ، والأشنع تكرار الكلمة بعينها [7] ، وإنما لجأت العربية للتثنية هروبًا من التكرار بالعطف ، طلبًا للإيجاز والاختصار [8] ، إلا أن هذا الحذف لا يقوى عليه إلا إذا دل الأول على الثانى ، أما إذا باين الثانى الأول وجب ذكره تكرارًا أو عطفًا [9] ، ومن أمثلة حذف الحرف لعدم التكرار مع افتقار المعنى له قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ [10]، فتقدير الكلام فى غير القرآن الكريم: "أسلمت وجهى لله ، وأسلم من اتبعنى وجهه لله [11] ، فحذف " اللام "فى قوله "لله" المفيدة للاستحقاق خروجًا من التكرار ، فمحمول الكلام ومن اتبعن أسلم وجهه لله [12] ، فالمتبع على دينى يقول كمقالتى [13] ، فكلنا قد أقررنا ، وشهدنا ، وأسلمنا وجوهنا لديننا ، وتركنا ماسوى

---

(1) الحذف والاختصار ، صـ1 / 231 .

( ) المحتسب صـ 1/ 84 .

(3) درء التعارض لابن تيمية تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية بيروت 1417هـ – 1997 م ، صـ 7/ 422 .

(4) حروف المعانى وعلاقتها بالحكم الشرعى ، صـ 61 .

(5) فيض القدير لعبد الرؤوف المناوى ، ط 1 المكتبة التجارية الكبرى مصر ، 1356 هـ ، صـ2 / 85 .

(6) المثل السائر لابن الأثير تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت 1995م ، . صـ23/1.

(7) سر الفصاحة لابن سنان، ط 1 دار الكتب العلمية ، بيروت 1402 هـ –1982 م ، صـ1 / صـ 102 .

(8) أسرار العربية صـ1 / 62 .

(9) همع الهوامع صـ 2 / 256 .

(10) سورة آل عمران 20

(11) الحذف والاختصار صـ1.

(12) المحرر الوجيز صـ 1 / 414.

(13) تفسير ابن كثير صـ1 /255.

دين الإسلام ، وجزمنا ببطلانه [1] ، ووجوب تكرار " لام " الاستحقاق فى قوله : " لله" تبدو حاجة التقدير لها لمساسها بقضية إيمان المقلد ، فالمؤمن رجل من اثنين : إما مقلد ، وإما مستدل ، فالأول موضع نزاع علماء العقيدة ، فقد صار كثير من النظار * يوجبون العلم والنظر والاستدلال ، وينهون عن التقليد، ويقول كثير منهم : إن إيمان المقلد لا يصح ، ويرى بعضهم أنه وإن صح فصاحبه عاصٍ بترك الاستدلال[2][*].

حذف الحرف مع افتقار المعنى له بمسوغ التلازم فى الحقول الدلالية ، فالنظرية سالفة الذكر تهدف إلى تحليل الكلمات وتقسيمها إلى جمع من كلمات تتصل ببعضها البعض دلاليًا ، والمعنى أنك لن تفهم كلمة حتى تفهم الكلمات المتصلة بها دلاليًا [3]، وقد استفادت العربية من نظرية الحقول الدلالية المفيدة لمعنى التلازم فى كسر بعض حواجز القاعدية المنيعة كالمطابقة بين النعت الحقيقى ومنعوته ، فقد جوز أبو الحسين ابن الطراوة وصف النكرة بالمعرفة إذا كان الوصف خاصًا بالموصوف ، لا يوصف به غيره؛ لقوله : فى أنيابها السم ناقع [4] ، وقد تكرر مثل هذا فى فى كل آية ذكرت فيها لفظة "آمَنُواْ" ، دون ذكر للفظ الجلالة ؛ للتلازم بين اللفظتين ، فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ ﴾ [5]، فالتقدير "ءامنوا بالله واتقوا الله" ، فحقل الإيمان يستلزم أن يكون موجهًا لله جل وعلا ، فسخافات النصارى من دعواهم فى التثليث ونسبة الولد لله ، تعالى عن ذلك علواً كبيرًا ، وكذلك اليهود فى نسبهم لله ما يتماشى مع كبرهم وصلفهم، يدعم دعوة الإيمان عندما يكون مطلقاً لا يصرف إلا لله وحده ، فالبشارات بالنبى ﷺ فى التوراة توجه الكلام لله وحده والإيمان به ، قال تعالى فى التوراة : " سأقيم النبى إسرائيل نبيًا من إخوتهم مثلك ، اجعل كلامى فى فيه ، ويقول لهم ما آمره به ، والذى لا يقبل كلام ذلك النبى الذى يتكلم باسمى أنا أنتقم منه ومن سبطه [6] " ، وعلى ذلك نستطيع أن نحمل معنى " الباء" المحذوفة فى "الله" على معنى الوجوب ، إذ إن انعدام الايمان يستلزم الوعيد ، ومثال ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ

---

(1) تفسير السعدى تحقيق ابن عثيمين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1421-2000 م ، صـ1/ 126 .

* هم الذين يثبتون قضايا الشرع بالعقل السفارينية ، صـ544 .

( ) النبوات لابن تيمية ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1386 هـ ، صـ1 / 42 .

وصحة إيمان المقلد على خلاف بين العلماء يرجع فى ذلك إلى بسط المسألة ، صـ 373 العقيدة السفارينية .

(3) علم الدلالة والنظريات الحديثة، صـ68 .

(4) مغنى اللبيب صـ2 / 146 الشاهد شطر بيت للنابغة الذبياني فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع ديوان المعانى صـ1 / 218 الخزانة صـ2 / 404 العقد الفريد صـ2 /4 .

(5) سورة المائدة 65

(6) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ، مطبوعات الجامعة الإسلامية المدينة المنورة 1396 هـ ، صـ 5 .

مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (Ï) ، والتقدير بلغ الناس " فالناس متلازمة مع البلاغ إذ إن التكليف واقع عليهم على سبيل الخصوص ، فقد عرض الله الأمانة على السٰموات والأرض والجبال ، إن أدوها أثابهم ، وإن ضيوعها عذبهم فكروه ذلك ، وأشفقوا من غير معصية ، ولكن تعظيمًا لدين الله جل وعز ألا يقوموا بها ، فعرضها على آدم فقبل بما فيها ( ) ، وقد حذف حرف المعنى " ال " المفيد معنى الجنس لشمولية كل الناس قاطبة ، فالدعوة بالتبليغ ، وكذلك الحروب، لا هدف لهما سوى عالمية الرسالة ؛ لتأمين الدعوة ؛ وتنفيذ الشريعة، وهى فى مصلحة البشر كلهم ، وإسداء الخير إليهم ، لا للاستعلاء عليهم ، والظلم لهم (Ñ)(*).

(Ï) سورة المائدة 67 .

( ) معانى القرآن النحاس تحقيق محمد على الصابونى ، جامعة أم القرى مكة المكرمة 1409 هـ ، صـ5 / 384.

(Ñ) الوحى المحمدى ، صـ276 .

(*) وقد حذف حرف (ال) من لفظة الناس المحذوفة.

ثانيًا : الاختصاص :

وأما المسوغ الثانى من مسوغات حذف حرف المعنى هو الاختصاص ، وقد دار عمل النحو فى تحديد معنى اختصاص الحرف حول معنيين ، أبرزا مراد النحويين من المصطلح ، فالناظر يجد أن النحاة اتجهوا إلى توضيح هذا المعنى من جهة المدخول عليه ، وكذلك من جهة عمل الحرف فى المدخول عليه ، فمن حيث المدخول عليه (معمول الحرف) ، فقد قسموه إلى سبعة أقسام تدور مع أقسام الكلام (الاسم، والفعل) ، بالإضافة إلى الجملة ، وعلى ذلك يمكن تقسيم الحروف وفقًا لمعنى الاختصاص إلى سبعة أوجه:-

فحرف يدخل على اسم وحده ، وعلى الفعل وحده ، وعلى الجملة وحدها ، وعلى الاسم لتعقده باسم آخر ، وعلى الفعل لتعقده بفعل آخر ، وعلى الجملة لتعقدها بجملة غيرها ، وعلى الاسم لتعقده بفعل[Ï] .

وأما من حيث عمل الحرف فقد اتجه صوبه بعض النحويين لإبراز معنى الاختصاص من خلاله ، فقسموا الحرف إلى عامل ومهمل يقول أبو البركات الأنبارى رحمه الله :-

"فإن قيل : فإلى كم ينقسم الحرف ؟ ، قيل : إلى قسمين معمل ومهمل ، فالمعمل هو الحرف المختص ، كحرف الجر ، وحرف الجزم ، وغير المختص كحرف الاستفهام ، وحروف العطف [ ] " ، كما حاول بعض النحاة المزاوجة بين الوجهين الداعمين لمعنى الاختصاص ، فجعلوا علة العمل لعلة المدخول عليه "معمول الحرف " ، يقول السيوطى- رحمه الله - " والحرف لا علامة له ، فإذ اختص باسم أو فعل عمل ، وإلا فلا ، ويستثنى من الأول " هل " التى فى حيزها فعل ، ومن الثانى (ما - لا - إن) النافيات "[Ñ] .

على أن هناك إشكالًا فى ماهية المدخول عليه ، من حيث كون المحدد للحرف فى اختصاصه أقسامًا صرفية (اسم ، فعل)، أو من حيث كونها مواقع وظيفية تركيبية ، يقول سيبويه- رحمه الله- : إلا أن من الحروف مالا يدخل إلا على الأفعال التى فى موضع الأسماء المبتدأة ، وتكون الأفعال أولى من الأسماء حتى لا يكون بعدها مذكور يليها إلا الأفعال... ، ومن ذلك أيضًا (ائتنى بعدما تفرغ) ، فما وتفرغ بمنزلة الفراغ ، وتفرغ صلة ، وهى مبتدأة ، وهى بمنزلتها ، فى الذى إذا قلت بعد الذى تفرغ ، فتفرغ فى موضع مبتدإ ؛ لأن الذى لا يعمل فى شىء ، والأسماء بعده مبتدأه [Ò] ، ولعل فى النص السابق دعوة خافتة إلى ما يسمى باللسانيات فى علوم اللغة المعاصرة، إذ إن النص قد أشار إلى الوظيفة اللسانية الداخلية متخطيًا بذلك حيز الفهم السطحى

(Ï) معانى الحروف صـ168

( )أسرار العربية صـ 1 / 36 .

(Ñ) جمع الهوامع صـ1 / 46 ،

(Ò) الكتاب صـ3 / 10 خانج .

للتركيب ، منتقلًا منه إلى الدلالة عاكفًا على الوظيفة التداولية داخل التركيب ، وقد تحرر بذلك من بعض قيود القاعدية الصارمة ، مطلعًا بذلك على قمة الهرم اللغوى وهو الفهم الدلالى التداولى ، فجملة تفرغ جملة صلة على نحو ما أراده النص ، وأصل الكلام محمول على معنى " ائتنى بعدما تفرغ منه" ، والمراد من قول سيبويه " وتفرغ صلة " أى: قاعديًا ، وهى مبتدأة بالنظر إلى الوظيفة التداولية لها ، فالمبتدأ لدى اللسانين هو الذى يحدد المجال الذى يعتبر إسناد مجموع الحمل إليه واردًا (Ï) ، ويؤكد ذلك ما أورده سيبويه مردفًا للنص السابق حيث قال : "ومن زعم أن الأفعال ترتفع بالابتداء، فإنه ينبغى له أن ينصبها إذا كانت فى موضع ينتصب فيه الاسم ، ويجرها إذا كانت فى موضع ينجر فيه الاسم ، ولكنها بكينونتها فى موضع الاسم ( ) " ، ففى قوله: "ويجرها إذا كانت فى موضع ينجر فيه الاسم " نقد للوظائف التركيبية التقليدية ، بينما قوله " ولكنها ترتفع بكينونتها فى موضع الاسم تأكيدٌ على معنى الوظيفة التداولية فى النص ، وفى معنى الكينونة التى قصدها إيماء للنص السابق بوصفه معنى وظيفيًا تداوليًّا وليس بوصفه معنى وظيفيًا تركيبيًا ذهب ابن الأنبارى : " والذى يدلُّ على أنه لا يرتفع لقيامه مقام الاسم * أنه لو كان مرفوعًا لقيامه مقام الاسم ، لكان ينبغى أن لا يرتفع فى قولهم : " كاد زيد يقوم " ؛ لأنه لا يجوز أن يقال " : كاد زيد قائماً" ** ؛ فلذا وجب رفعه بالإجماع على صحة ما قلناه(Ñ) .

والمراد من العرض السابق أن أجنحة فهم اختصاص الحرف وحذفه يمتد من كونه يحتك بالصيغ الصرفية إلى الوظائف التركيبية ، مستنتجًا المعنى الدلالى، منتهيًا إلى المعانى التداولية التى تعتبر قمة الهرم الدلالى ، الذى يمثل الحصاد النهائى للغة ، فالحرف يعتمد فى سد الفراغ الناتج من حذفه على المعانى الدلالية ، الناجمة عن الوظائف التركيبية ، المفيدة للوظائف التداولية.

– أ – حذف الحروف المختصة بالدخول على الأسماء ، وذلك نحو الألف واللام فى قولك الرجل والغلام (Ò) ، فتدخل على الأسماء فتعرفها للعهد (Ó) ، إلا أنها تحذف مع مدخولها النكرة إذ دلت عليها معرفة أعرف منها ، فالمعرف (بأل) اسم نكرة دخلت عليه "أل" ، فأفادته التعريف والتعيين (Ô) ، فأل العهدية تنقسم إلى ثلاثة أقسام (ذكرية – حضورية – ذهنية) ، وأعرف الأنواع

(Ï) اللسانيات واللغة العربية، صـ 116 .

( ) الكتاب صـ 3 / 11 .

*يقصد الفعل المضارع

** لأن خبر كاد لا يكون إلا جملة فعلية فعلها مضارع.

(Ñ) الإنصاف صـ 438 .

(Ò) معانى الحروف صـ 168

(Ó) شرح ابن عقيل صـ 1 / 149 .

(Ô) تسهيل شرح ابن عقيل ، صـ60 .